بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

http://dr-shaal.com

الحلقة السادسة والعشرون:
آداب الزائر والمزور

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على سيدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أرحّب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حَسَنَها، ونحذّر من قبيحها وسيئها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:69]

وقال: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: 24 - 27]

قال ﷺ: **«لا خير فيمن لا يضيف»**[1].

قال ﷺ: **«لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً»**[2].

قال تعالى في الحديث القدسي: **«ومن الدرجات: طيبُ الكلام, وبذل السلام, وإطعام الطعام»**[3].

---

[1]() أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (17419), والبيهقي في "شعب الإيمان" برقم (9588), من حديث عقبة بن عامر ﷺ.
قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" برقم (13609): رجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة, وحديثه حسن.

[2]() أخرجه النسائي في "سننه" برقم (3110), وأحمد في "مسنده" برقم (9693) من حديث أبي هريرة ﷺ.

[3]() أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (16621), من حديث عبد الرحمن بن عائش عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

وقال ﷺ: **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»**[4].

جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود, فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى بعض نسائه: **«هل عندك شيء نضيف به ضيفنا»**، فقالت: لا والذي بعثك بالحق, ما عندي إلا ماء.

ثم أرسل إلى أخرى: فقالت مثل ذلك. حتى قلن كلُّهن مثلَ ذلك: لا والذي بعثك بالحق, ما عندي إلا ماء، فقال النبي ﷺ لأصحابه: **«من يضيف هذا الليلة وأجره على الله؟»** فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله, فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندنا شيء؟ قالت: لا.. إلا قوتُ صبياني، قال: فعلليهم بشيء, فإذا أرادوا العشاء فنوميهم، فإذا دخل ضيفُنا فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، قال: فقعدوا وأكل الضيف.. وباتا جائعين، فلما أصبحا غدا إلى رسول الله ﷺ فقال النبي لهم: «قد عَجِبَ الله من صنيعكما بضيفكما», ونزلت: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9]»[5].

بيد أن للإسلام موقفاً من كل تصرفٍ يتصرفه المسلم, فللإسلام موقفٌ من الزائر, وموقفٌ من المزور، وفي الإسلام آداب للضيف, وآداب للمضيف.

- **آداب الضيف الزائر:**

1) اختيارُ الوقت المناسب للزيارة، فاللطفُ اسم من أسماء الله، واللطف صفةٌ من صفات رسول الله ﷺ, فلا بد للمسلم أن يكون لطيفاً, يختار الوقت المناسب لزيارته للناس، حتى لا يَمَلَوه ويضجروا منه.

2) اختصارُ الزيارة والإقلالُ من تكرارها، قالت الصحابة: **«كان رسول الله ﷺ يتخوَّلنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا»**[6] (أي: الملل).

فإذا كان رسول الله ﷺ يختصر زيارته وموعظته وكلامه، فلا بدَّ للمؤمن أن يقتدي به.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" برقم (11738): رجاله ثقات.

[4]() أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (148), وأحمد في "مسنده" برقم (16370) من حديث أبي شريح الخزاعي ﷺ.

[5]() أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (2054), من حديث أبي هريرة ﷺ.

[6]() أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (70), ومسلم في "صحيحه" برقم (282), وأحمد في "مسنده" برقم (4041), من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

وقد قيل:

أَقْلِلْ زيارَتَكَ يَرَاكَ كالثَّوبِ استَجَدَّه الصديقَ

إنَّ الصديــق ألا يزال يَرَاكَ عِنْـدَهْ يُمِلُّـــهُ

3) تركُ الاختلاط بين النساء والرجال في الزيارة: فمما شاع بين بعض بيوت المسلمين اليوم أن يختلط الرجال مع النساء في أثناء زيارتهم, والله تعالى يقول: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ . . . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور:30-31].

ولعل الاختلاط أولُّ فتن النساء مع الرجال، وكم من حادثة مؤسفة وقعت، كانت بدايتُها الاختلاط في الزيارات.

والأشدُّ فظاظة وغلاظة وشراً من اختلاط الأقارب أن ترى الرجلَ يأتي إلى بيت صديق له, فيأمر هذا الأخير زوجتَهُ أن تدخلَ لتجلس معهم.

استأذن الصحابيُ الجليل عبد الله بن أم مكتوم -وكان أعمى- بالدخول على رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ في بيته مع اثنتين من أزواجه الطاهرات, فأمرهن بالاحتجاب عنه، فقالتا: يا رسول الله إنه أعمى - أي: ما عليه أن يدخل, فهو لا يرانا- فقال ﷺ: **«أفعمياوان أنتما؟»**[7].

4) الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن حياةَ المسلم كلَّها خيرٌ ونفع وفائدة، فما دام الزائر يرى طاعةً متروكة, فلا بدَّ له من نصيحة صاحب الدار بها، وخاصة الصلاة وشبهها، فكثيرٌ من الزوار يؤخرون صاحب الدار عن صلاته, وكثيرٌ من الزوار يقطعون المرء عن عبادته, وما دام الزائر يرى منكراً فلا بدَّ له من نصيحة صاحب الدار بتركه, وخاصة الغيبة والنميمة والخوض في أعراض الناس.

فكم وكم من الزيارات لا ينالُ أصحابُها إلا الوزر، فحديثهم في أعراض الناس, وفي التحدث

---

[7]() أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (4114), والترمذي في "صحيحه" برقم (2778), وأحمد في "مسنده" برقم (26537) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

بالسوء على الخلق، والله تعالى يقول: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114].وقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: 140].

5) إظهارُ الرضا والسرور بكل ما يقدمه صاحبُ الدار من ضيافة، وعدمُ تكليفه ما لا يطيق:

دُعي رسول الله ﷺ يوماً إلى بيت صحابي فقدم له خلاً, فابتسم رسول الله ﷺ وأكل من الخل وقال:**«نِعمَ الإدام الخل»**[8].

- **آدابُ صاحب الدار المضيف:**

1) إظهارُ البِشر والسرور بقدوم الضيف:

فقد قال ﷺ: «تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة»[9]. ووصفت الصحابةُ رسولَ الله ﷺ فقالوا: كان بسَّاماً ضحاكاً, دائمَ البشْر.

2) إكرامُ الضيف ما استطاع من طاقته:

فقد كان سيدنا إبراهيم الخليل- صلوات الله عليه وسلامه - يكنى "أبا الضيفان" لكثرة ضيافته الناس, فكان إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يأكل معه.

وكان الإمام مجاهد يقول في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات:٢٤]، قال الإمام: كانوا مكرمين؛ لأن الخليل خدمهم بنفسه.

وكان علي بن أبي طالب يقول: لَئَنَ أجمع نفراً من أصحابي على طعامي أحبُّ إليَّ من عتق رقبة.

---

[8]() أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (2052), وأحمد في "مسنده" برقم (14925), من حديث جابر ﷺ, وفيه أنه (دخل على أهله فسألهم: هل من أدم؟ فقالوا: لا, فقال...).

[9]() أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (1956) من حديث أبي ذر ﷺ, وحسنه.

وكان أنس خادم رسول الله ﷺ يقولُ: كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة.

وكان رسول الله ﷺ يتمنى أن يرى من سمع عنه في الجاهلية "حاتم الطائي" لكثرة ما سمع عن إكرامه الضيف، ويروى أنه لما أُتِيَ بابنة حاتم الطائي إلى النبي ﷺ في أسرى قومها قالت: يا محمد، هلك الوالد، وغاب الوافد, فإنْ رأيتَ أن تُخلي عني، فلا تشمت بي أحياء العرب, فإني بنتُ سيدِ قومي، كان أبي يفك العاني, ويحمي الذِّمار، ويقري الضيف، ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يَرُدَّ طالبَ حاجة قط، أنا بنت حاتم طيّ, فعفا عنها النبيُّ الكريم ﷺ إكراماً لكرمها وكرم أبيها[10].

3) عدمُ التكلف في الضيافة:

قال تعالى على لسانه نبيه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: 86].

وقد روي أنه كان رجلٌ بالمدينة يتكلف، فقسم جميع ماله ولم يُبقِ شيئاً لعياله, فطولب بالنفقة فلم يقدر على شيء، فأنزل الله في حقه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾

وقال العلماء:من لم يملك إلا مائة دينار مثلاً, ومعه عيالُه وأولاده ولا معيشة لهم سواه، فأنفق الجميع في وليمة, فهو مسرف يجب منعه، ويجب على القاضي أن يحجر على ماله.

4) تركُ المفاخرة والتكبر بالطعام أو الشراب أو اللباس أو الفراش:

قال ﷺ: **«لا يدخل الجنةَ مَنْ كان في قلبه مثقال حبة من كبر»**[11].

فطوبى لمن كان كثير الضيوف بوجه طلقٍ بسام, وبنيّة خالصة لله.

وطوبى لمن التزم آداب الشرع في الزيارة والمزور، وفي الضيافة والمضيف.

قال رسول الله ﷺ: **«الخيرُ أسرعُ إلى البيت الذي يؤكل فيه من الشفرة إلى سنام**

---

[10]() أخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" برقم (2087), من حديث على بن أبي طالب ﷺ, وأخرجه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" 23/248 من حديث ابن إسحاق, وكذا عزاه ابن حجر في "الفتح" 23/157 لابن إسحاق.

[11]() أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (91), وأحمد في "مسنده" برقم (3789), من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

البعير»[12].

وبَشَّر ﷺ من يُطعم الطعام بدخول الجنة فقال: **«يا أيها الناس, أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام, وصَلُّوا والناس نيام, تدخلوا الجنة بسلام»**[13]

والحمد لله رب العالمين.

---

[12]() أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم (3357) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال البوصيري في "الزوائد" برقم (3611): فيه جبارة وهو ضعيف.

[13]() أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (2485), وابن ماجه في "سننه" برقم (1334), وأحمد في "مسنده" برقم (23784), من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه.